مقال تحليلي

الدبلوماسية الناعمة الروسية في ظل وثيقة "السياسة الإنسانية"

أحمد السيد

باحث بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

فرضت التحولات التي يشهدها النظام الدولي في الوقت الراهن على روسيا إعادة النظر في تحركاتها وسياستها الخارجية، وقد تجلى ذلك بوضوح في أمرين؛ الأول تمثل في تعديل عقيدتها البحرية عندما وقع الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين"، يوم 31 يوليو 2022، مرسومًا بالموافقة على العقيدة البحرية الروسية الجديدة، رغبة منها في امتلاك أسطول بحري قوي يُدافع عن مصالحها في العالم، ويتماشى مع دورها على الساحة الدولية. والأمر الثاني، عندما وقع الرئيس "بوتين" في 5 سبتمبر 2022 مرسومًا بالموافقة على مفهوم "السياسة الإنسانية" لروسيا في الخارج، ليدخل هذا المرسوم حيز التنفيذ فور توقيعه. فما هو مفهوم "السياسة الإنسانية" كما جاء في الوثيقة الروسية؟، وما دلالات التوقيت؟ هذا ما سنعرض له في السطور التالية.

وفقًا للوثيقة الروسية المكونة من 31 صفحة والتي تضمنت 117 بندًا، فإن مفهوم "السياسة الإنسانية" لروسيا في الخارج، يُحدد المهام والمجالات الرئيسية للسياسة الإنسانية الروسية في الخارج. وتتضمن الوثيقة ستة أقسام. يغطي الأول الأحكام العامة. ويعرض الثاني للمصالح الروسية في المجال الإنساني في الخارج كما يعرض أهداف ومهام ومبادئ هذه السياسة. بينما يسرد القسم الثالث المجالات الرئيسية للسياسة الإنسانية. ويغطي القسم الرابع التعاون الإنساني وفقًا لصيغ ثنائية ومتعددة الأطراف، والقسم الخامس خُصص للحوار بين الثقافات والأديان. وتناول القسم السادس آليات تنفيذ "السياسة الإنسانية" في الخارج.

يسعى "المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية" إلى تقديم الرؤى والبدائل المختلفة بشأن القضايا والتحولات الاستراتيجية، على الصعيد المحلي والإقليمي والدولي على حد سواء. ويولي اهتمامًا خاصًا بالقضايا والتحولات ذات الأهمية للأمن القومي والمصالح المصرية.

ecss.com.eg

/ecsstudies

أهداف مفهوم "السياسة الإنسانية"

تضمن مفهوم "السياسة الإنسانية" كما جاء في الوثيقة عددًا من الأهداف، على النحو التالي:

- **أولًا:** يُحدد مفهوم "السياسة الإنسانية" المصالح الوطنية الروسية في المجال الإنساني في الخارج، من أجل حماية القيم الروحية والأخلاقية التقليدية لروسيا، وكذلك تعريف المجتمع الدولي بتراث وإنجازات الشعب الروسي في شتى المجالات، وتطوير التعاون الإنساني الدولي على أساس عادل ومتبادل ومنفتح وبدون تمييز.

- **ثانيًا:** تهدف "السياسة الإنسانية" لتكوين فكرة عن روسيا كدولة تحافظ بعناية على تاريخها الغني وتراثها الثقافي، وقيمها الروحية والأخلاقية التقليدية، بما يسمح بتطور الحياة الاجتماعية، كما تتمثل مهمة "السياسة الإنسانية" في حماية التقاليد والمثل المتأصلة في العالم الروسي والحفاظ عليها وتعزيزها.

ثالثًا: تهدف "السياسة الإنسانية" لتطوير التعاون الثنائي في شتى المجالات الثقافية، فضلًا عن تعزيز التعاون مع دول الاتحاد السوفيتي السابق، ورابطة الدول المستقلة، وتطوير العلاقات مع أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية. وتطوير العلاقات الإنسانية والثقافية مع جمهوريات البلطيق، وكذلك مع مولدوفا وجورجيا، مع الاحترام الكامل والدعم الكبير للسكان الناطقين باللغة الروسية في الخارج.

- **رابعًا:** يحدد المفهوم الحاجة إلى بذل الجهد لكبح محاولات إعادة كتابة تاريخ الحرب العالمية الثانية والحرب الوطنية العظمى، والتقليل من دور الشعب السوفيتي في الانتصار على الفاشية.

- **خامسًا:** يشير المفهوم للحاجة إلى تعميق التعاون الثنائي في المجال الإنساني مع دول منطقة آسيا والمحيط الهادئ والشرقين الأدنى والأوسط وأمريكا اللاتينية وأفريقيا.

أبرز ما تضمنته وثيقة "السياسة الإنسانية"

- **التركيز على العنصر البشري ورفض القيم الغربية**

نصت الوثيقة على أن مفهوم "السياسة الإنسانية" ينطلق من مجموعة من الأهداف والغايات والمبادئ والتوجهات الرئيسية للسياسة الإنسانية لروسيا الاتحادية في الخارج، وذلك بالاستناد للدستور الروسي، وقواعد القانون الدولي والمعاهدات الدولية.

كما يُعلي مفهوم "السياسة الإنسانية" من دور الإنسان، وأهمية الاستثمار في العنصر البشري، لما له من دور كبير في مختلف مجالات الحياة، وأن هذا الاستثمار تفرضه حتمية التغير الذي يشهده النظام الدولي الراهن. وأن للعنصر البشري دورًا كبيرًا للترويج للثقافة الروسية بقيمها وتقاليدها التاريخية والتي سمحت لروسيا في السابق بتبوء مكانة كبيرة بين شعوب العالم.

ووفقًا للوثيقة، فإن الموقع الجغرافي لروسيا قد أسهم في توليف المبادئ الأوروبية والآسيوية معًا في ثقافة واحدة، مما ساهم في تشكيل القيم في حياة المجتمع الروسي. كما ساهم التعايش السلمي منذ قرون بين مختلف الشعوب والجماعات الدينية على تلك الرقعة الجغرافية في تطوير الثقافات وإثرائها المتبادل، واحترام العادات والتقاليد، والتسامح مع المعتقدات المختلفة، فضلًا عن التوافق في عدم القبول بفرض أي قيم من الخارج لا تتماشى مع قيم المجتمع.

في السياق ذاته، انتقدت الوثيقة مفهوم "العولمة" كونه يُهدد الهوية الوطنية للبلدان والشعوب، موضحة أن الصراع من أجل التأثير الثقافي لا يزال يتصاعد على المسرح العالمي، وهناك محاولات للتقليل من أهمية الثقافة الروسية والمشاريع الإنسانية الروسية، لنشر وفرض تفسير مشوه للأهداف والقيم الروسية واستبدالها بقيم زائفة. كما ثمنت الوثيقة الجهود الفردية التي تقوم بها الدول لتعزيز الأسس المنهجية للعلاقات الدولية، لضمان التنفيذ الصارم لميثاق الأمم المتحدة.

تعزيز المصالح الروسية في المجال الإنساني

تتمثل المصالح الوطنية لروسيا في المجال الإنساني في عدد من الأمور منها: حماية القيم الروحية والأخلاقية التقليدية، وتعريف المجتمع الدولي بالتراث التاريخي والثقافي لروسيا، وتطوير التعاون الإنساني على أساس من العدالة والانفتاح بين جميع الدول دون تمييز. مع احترام القيم الدستورية، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى؛ والتنسيق المشترك بين الدول. مع الترويج للقيم الروسية التقليدية، وذلك ردًا على الفرض العدواني لوجهات النظر "النيوليبرالية" من قبل الدول الغربية. حيث إن ذلك الأمر سيساعد في تعزيز مكانة روسيا كإحدى القوى المؤثرة في العالم الحديث متعدد الأقطاب.

تعزيز القوة الناعمة

تنص الوثيقة على دعم وتعزيز اللغة الروسية كلغة للتواصل في الخارج، إذ إن اللغة الروسية تحتل مكانة هامة بين لغات العالم، وهي واحدة من اللغات المعترف بها في المنظمات الدولية والإقليمية، ويعد دعم اللغة الروسية وتعزيزها عنصرين أساسيين في السياسة الإنسانية لروسيا في الخارج ويساهمان في تكوين موقف إيجابي تجاه روسيا في العالم، كما أن دعم اللغة الروسية وتعزيزها يُعد أداة هامة للتعاون السياسي والاقتصادي والثقافي والإنساني والعلمي بين روسيا والدول الأخرى.

في السياق ذاته، تنص الوثيقة على الترويج للثقافة الروسية في الخارج، باعتبارها جزء لا يتجزأ من الثقافة العالمية، وكأداة "للقوة الناعمة"، فهي تساهم في تعزيز مكانة روسيا دوليًا. وتسهم في تهيئة الظروف لتنفيذ مهام السياسة الخارجية وإقامة حوار بنّاء، وتجاوز الخلافات مع الدول الأخرى. وذلك في سياق الإثراء المتبادل للثقافات وزيادة اندماج روسيا في الثقافة العالمية.

كما نصت الوثيقة على الترويج للعلوم الروسية في الخارج، باعتبار أن الاتجاه الرئيسي "للسياسة الإنسانية" يتمثل في الترويج للعلوم الروسية في مجالات البحث والتطوير، مع إيلاء مزيد من الاهتمام لتعزيز العلاقات الثنائية بين المؤسسات التعليمية الروسية والأجنبية من خلال تنفيذ مشاريع مشتركة، وتبادل المتخصصين من العلماء والمدرسين والطلاب، وعقد المنتديات العلمية والمؤتمرات والندوات في روسيا، وزيادة الحراك الأكاديمي للطلاب والعلماء، ومشاركتهم في الأحداث والبرامج والمشاريع والدراسات العلمية الأجنبية. مع توفير المنح التعليمية الروسية للطلاب الأجانب، لتعزيز مكانة روسيا في الخارج.

في السياق ذاته، نصت الوثيقة على أهمية التعاون في مجالات كالرياضة والسياحة، لتعزيز الحوار بين الثقافات وإعطاء صورة إيجابية عن روسيا على الساحة الدولية، والتعريف بالقيم الروسية، مع ضرورة إيلاء اهتمام خاص لزيادة الجاذبية السياحية لروسيا للمساهمة في زيادة التواصل بين الناس.

كما تنص الوثيقة على تقديم الدعم للمواطنين الروس في الخارج، حيث إن هؤلاء المواطنين حاملون ليس فقط للغة الروسية، ولكن للثقافة والتقاليد الروسية. ومن خلال إقامة علاقات قوية مع المواطنين الروس في جميع أنحاء العالم، وتزويدهم بالدعم والمساعدة

في الحفاظ على لغتهم وثقافتهم الأم، سيُعزز ذلك من صورة روسيا كدولة ديمقراطية على الساحة الدولية.

كما تنص الوثيقة على أن الحفاظ على التراث التاريخي والثقافي مهمة كبرى لروسيا. وأن نشر المعلومات الموضوعية حول التاريخ الروسي خاصة (فترات الإمبراطورية الروسية والاتحاد السوفيتي)؛ ذو أهمية كبيرة في الحفاظ على ذاكرة موثوقة للماضي ومواجهة محاولات تزوير التاريخ الذي يتم من قبل دول أخرى سعيًا نحو تحقيق مصالح جيوسياسية.

استغلال الأداة الإعلامية، نظرًا للدور الكبير الذي يلعبه الإعلام في تشكيل صورة الدولة على الساحة الدولية، وفي سياق العولمة، يُمكن لوسائل الإعلام أن تُساهم في تكامل الثقافات، وتعزيز وتطوير الحوار وتحقيق التفاهم المتبادل بين ممثلي الثقافات المختلفة. في هذا السياق، توضح الوثيقة أنه من الضروري تطوير التعاون الدولي بين وكالات الأنباء، وإجراء التبادلات الصحفية، وضمان بث القنوات التلفزيونية الروسية، بما في ذلك تلك التي تستهدف الجماهير الأجنبية، والمواطنين الذين يعيشون في الخارج، وكذلك تسهيل توزيع الدوريات الروسية في البلدان الأجنبية للترويج للثقافة الروسية.

التعاون في المجال الإنساني

تقسم الوثيقة "التعاون الإنساني" إلى تعاون متعدد الأطراف، وتعاون ثنائي، وفيما يتعلق بالتعاون مُتعدد الأطراف، تلعب العلاقات متعددة الأطراف دورًا مهمًا في التعاون الإنساني، من خلال مشاركة روسيا في أنشطة المنظمات الدولية والتجمعات الإقليمية. مع إقامة فعاليات متعددة الأطراف، خاصة مع الدول الأعضاء في رابطة الدول المُستقلة، وتعزيز الروابط مع هذه الشعوب، ومواصلة تطوير التعاون الإنساني المتعدد الأطراف في إطار المنظمات والجمعيات الإقليمية والدولية مثل منظمة شنغهاي للتعاون، ومنظمة التعاون الاقتصادي للبحر الأسود، وشراكة الحوار بين روسيا ورابطة أمم جنوب شرق آسيا، ومنتدى التعاون الاقتصادي لآسيا والمحيط الهادئ.

وفيما يتعلق بالتعاون الإنساني الثنائي، تنص الوثيقة على أنه من الضروري ضمان إجراء التبادلات الثقافية مع شركاء روسيا من خلال تعميق التعاون الثنائي في شتى المجالات، مع الدول في فضاء ما بعد الاتحاد السوفيتي، وكذلك الدول الأعضاء في رابطة الدول المستقلة، ومع جمهوريتي أبخازيا، وأوسيتيا الجنوبية وجمهورية دونيتسك ولوهانسك. وكذلك تطوير العلاقات الإنسانية والثقافية مع دول البلطيق، وكذلك مع مولدوفا وجورجيا، مع مراعاة احترام حقوق السكان الناطقين بالروسية في هذه الدول. كما تنص الوثيقة على أنه من الضروري إيلاء اهتمام خاص لتنمية التعاون الإنساني الثنائي مع البلدان السلافية، كما نصت على زيادة التعاون مع الصين والهند، وتقوية علاقاتها مع دول الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية وأسيا وأفريقيا والمحيط الهادئ.

الحوار بين الثقافات والأديان

تنص الوثيقة على أن تدعم روسيا تطوير الحوار بين الثقافات والأديان في الصيغ الثنائية والمتعددة الأطراف. على أن يحتل الدين مكانة خاصة في هذا الحوار. كما يساهم التعاون الدولي الأديان بين الكنيسة الأرثوذكسية الروسية والمنظمات الإسلامية الروسية والمنظمات الأخرى التي تمثل الطوائف التقليدية لروسيا؛ مساهمة كبيرة في إقامة وتطوير العلاقات الروحية بين الدول والشعوب.

آليات تنفيذ السياسة الإنسانية

نصت الوثيقة على أن يحدد الرئيس الروسي الاتجاهات الرئيسية للسياسة الإنسانية. على أن يضطلع مجلس الاتحاد ومجلس الدوما، بالعمل على إصدار التشريعات لتنفيذ السياسة الإنسانية. وتقوم وزارة الخارجية الروسية من خلال بعثاتها الخارجية بتنفيذ وثيقة "السياسة الإنسانية".

دلالات التوقيت

يمكن فهم دلالات توقيت توقيع وثيقة "السياسة الإنسانية" لروسيا في الخارج، بعد ستة شهور من بدء الحرب الروسية الأوكرانية،من خلال عدد من النقاط منها:

- **سعى الرئيس "فلاديمير بوتين"** إلى وضع روسيا كدولة رائدة للدفاع عن القيم الثقافية "التقليدية" ضد القيم الغربية الليبرالية.

- **الدفاع عن صورة روسيا** ضد حملات التشويه الغربية، بإيصال رسالة للعالم بأن يُنظر لروسيا على أنها الوصي على القيم الأخلاقية والاجتماعية والدينية.

- **سعى "بوتين" لتعزيز علاقات بلاده** مع الكيانات الإنفصالية في شرق أوكرانيا، خاصة جمهوريتي دونيتسك ولوهانسك، وتعزيز روابط وثيقة مع كلًا من أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية، وهم منطقتان جورجيتان اعترفت موسكو باستقلالهما. وربما يُقدم بذلك مُبرر ضد التدخل العسكري في أوكرانيا.

- **أراد "بوتين" من خلال هذه الوثيقة،** تسليط الضوء على ما يراه من مصير مأسوي لما يقرب من 25 مليون مواطن من أصل روسي وجدوا أنفسهم يعيشون خارج روسيا في دول مستقلة حديثًا وذلك عندما انهار الاتحاد السوفيتي في عام 1991، وهو الحدث الذي وصفه "بوتين" بأنه أكبر كارثة جيوسياسية في القرن العشرين.

- **تسعى روسيا من خلال الوثيقة لتعزيز صورتها في الخارج** وعلى المسرح الدولي كدولة ديمقراطية تسعى جاهدة لخلق عالم متعدد الأقطاب.

وفي الأخير، يُمكن القول إن روسيا بتوقيعها لهذه الوثيقة، فإنها تهدف لتعزيز صورتها في الخارج، وكسب مزيد من الدعم من قبل الدول الأخرى، كما تضع تصورات لسياستها الخارجية، وضمان مصالحها على المدى الطويل.